المجمع العالمي للتقريب
بين المذاهب الاسلامية

محمد مهدي الآصفي حضاريًا

بمناسبة الذكرى السنوية
لرحيل العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي

www.ketab.ir

سرشناسه : آذرشب، محمدعلی، ۱۳۲۶ -، گردآورنده
عنوان و نام پدیدآور : محمد مهدی‌الآصفی حضاریا/ اعداد و تقدیم محمدعلی آذرشب؛ [برای] المجمع‌العالمی للتقریب بین‌المذاهب‌الاسلامیه.
مشخصات نشر : تهران: تعارف، ۱۳۹۵.
مشخصات ظاهری : ۲۷۲ ص.
شابک : ۱۰۰۰۰۰ ریال978-600-91949-9-5:
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
موضوع : آصفی، محمدمهدی، ۱۳۱۶ -
موضوع : Asafi, Muhammad Mahdi
موضوع : مجتهدان و علما -- ایران
موضوع : Ulama -- Iran
شناسه افزوده : مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی
رده بندی کنگره : ۱۳۹۵ د۲۰۵B/ ۱۳۹۳م۶آ/
رده بندی دیویی : ۲۹۸/ ۹۷
شماره کتابشناسی ملی : ۴۲۳۹۲۷۱

تَعارُف

اسم الكتاب: العلامة محمد مهدي الآصفي حضاريا
اعداد وتقديم : أ.د. محمد علي آذرشب ـ أستاذ في جامعة طهران
الناشر: دار التعارف للطباعة والنشر
الطبعة: الأولى ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م
شابك: ٩٧٨-٦٠٠-٩١٩٤٩-٥-٩
المسؤول الفني والطباعة: كامل كريمي راد
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
السعر: ١٠٠٠٠ تومان
العنوان: الجمهورية الإسلامية الإيرانية/ طهران
الرمز البريدي: ١٥٨١٧-٤٤٧١٣
Email: taghrib@taghrib.org

www.ketab.ir

فهرس الموضوعات

الإمام الخامنئي ينعى العلامة الآصفي ٧

محمد مهدي الآصفي حضاريًا (مقدمة) ٩

الكتاب الناطق ٢٩

تأملات في آية التقوى من سورة الاعراف ٤٥

الرحلة بين المعرفة والتحريض ٦٣

التعددية الدينية ٩٧

مدخل الصدق ومخرج الصدق ١٢١

تأملات في دعاء شهر رجب ١٣٧

نحو فهم حضاري لتاريخنا الإسلامي ١٥٥

الوعد الصادق ١٦٩

الغربة والاغتراب ٢٣١

اللقاء بين الحوزة العلمية والجامعة ٢٥٧

www.ketab.ir

الإمام الخامنئي ينعى العلامة الآصفي

باسمه تعالى

ببالغ الأسى والأسف تلقينا خبر وفاة العالم المحقق والمجاهد المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد مهدي الآصفي (رحمة الله عليه). إنه كان فقيهًا ذا فكر متجدّد، ومتكلّمًا ماهرًا، ومؤلفًا غزير العطاء والتأثير. عشراتُ الكتب المفيدة التي تعالج المسائل المطروحة في ساحة العقائد والكلام والفقه من ثمرات عمره المبارك.

إن للمرحوم كذلك في ساحة النضال السياسي والاجتماعي في العراق تاريخًا مشرقًا، فكره الثاقب وتحليله العميق لمسائل المنطقة من خصائص شخصيته ذات الأبعاد المتعدّدة.

الزهد وعدم الاهتمام بالملذات المادية وروح النفس على العيش الفقير المتواضع من الخصائص الأخرى البارزة لهذا العالِم الديني الكبير. تحمّله سنوات من أعباء تمثيلي في النجف الأشرف يحمّلني حقًا كبيرًا، وأمل ان ما يشمله الله من لطف ورحمة هو الذي يؤدّي حقّ كل هذه الخدمات العلمية والدينية والاجتماعية للفقيد.

أعزّي عموم ذويه وأحبائه ومريديه، والناهلين من عطائه، سائلاً الله الواحد الأحد له رفعة المنزلة والرحمة والغفران.

سيد علي خامنئي

١٣٩٣/٣/١٤ هجرية شمسية

(٤/حزيران/٢٠١٥)

www.ketab.ir

مقدمة

محمد مهدي الآصفي حضاريًا

الإنسان الحضاري هو باختصار مَنْ كان مَثَلُه الأعلى كبيرًا. وفي مثل هذه الحالة:

- يتحرر من ذاتيته وأنانيته.
- يعيش آلام مجتمعه وآماله.
- ينظر إلى الكون والحياة بنظرة واضحة هادفة.
- يعالج الأمورَ وفق منهج عقلاني متكامل.
- يعمل على تغيير الواقع الفاسد.

والشيخ محمد مهدي الآصفي ـ رضوان الله تعالى عليه ـ الذي فارقنا في الرابع من حزيران (يونيو) ٢٠١٥ نموذج للإنسان المسلم الحضاري. عاش منذ نعومة أظفاره عاشقًا للعلم، منفتحًا على الواقع، ساعيًا إلى تحقيق عزّة المسلمين وكرامتهم.

شجاع في مواقفه، تقيّ زاهد في معيشته، صادق مع نفسه وربّه، ساع إلى تغيير الفاسد من واقعه، عامل على مساعدة المحتاجين من أبناء جلدته، دائب على تقديم عطاء فكره.

والعلامة محمد مهدي الآصفي كان علمًا من أعلام الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية، فكان إلى جانب مهامه الجسيمة

www.ketab.ir

عضوًا في المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ولا غرو في ذلك فإن دعاة نهضة الأمة هم دعاة تقريب أيضًا كما بيّنت ذلك في كتاب «مسيرة التقريب».

ومجلّة «ثقافتنا» الصادرة من مؤسسة الفكر الإسلامي نعمت منذ صدورها بعطائه الفكري الحضاري، ونقف هنا عند مقتطفات مما قدمه من عطاء على صفحات هذه المجلة لنستجلي شخصيته الحضارية في المجالات المختلفة.

الفهم الحضاري للقرآن الكريم

تحت عنوان «الكتاب الناطق» نشر الشيخ الآصفي مقالًا في العدد ٢ من ثقافتنا يبين التوجه الحضاري لكاتب تجاه منطلق الحضارة الإسلامية وهو القرآن الكريم.

يبين أن الكاتب رحمه الله كان تعامل مع القرآن تعامل تلميذ يجلس على مائدة كتاب الله ليسأله ويستنطقه ويحصل على ما يملأه عزّة وقوة وشموخًا وأصالة. هذه الطريقة من التعامل مع القرآن هي نفسها طريقة أولئك الذين تحركوا بالقرآن وصنعوا حضارة القرآن.

يقول:

«إن للقرآن في حياتنا خطابًا يخاطبنا به إذا أصغينا إليه والقرآن في حياتنا جواب، إذا سألناه.

إذن للقرآن في حياتنا خطاب وجواب لمن يحسن استنطاق القرآن يقول الإمام علي (ع): «ذلك القرآن فاستنطقوه».

وليس كل أحد يحسن استنطاق القرآن. وقليل جدًا، أولئك الذين يعرفون استنطاق القرآن، ويتلقون منه الجواب والخطاب».

www.ketab.ir

«ورحم الله العبد الصالح العارف كان يقول:

كنت أقرأ القرآن فلا أجد فيه لذة كبيرة، فحاولت أن أقرأ القرآن وكأني أسمعه من بين شفتي رسول الله (ص) فوجدت من تلاوة القرآن لذة عظيمة، ثم حاولت أن أقرأ القرآن وكأني أتلقاه من ملك الوحي مباشرة، فوجدت في قراءة القرآن من اللذّة مالا يوصف، ثم قرأت القرآن وكأني أتلقّاه مباشرة من عند الله فوجدت في تلاوة كتاب الله من اللذة مالا أرتوي منه ولا أطيق مفارقته مهما تلوت منه.

فإذا تمرّس الإنسان في تلقي الخطاب القرآني من الله مباشرة يجد من تكريم الله تعالى له مالايعلم شعاعه، وأنّى يطيق العبد أن يشكر الله تعالى على هذا التكريم، وقد خصه بالخطاب دون سائر خلقه».

«لله تعالى في حياتنا كتابان ناطقان هما كتاب التكوين (الكون) وكتاب التدوين (القرآن). وهما كتابان، وناطقان فهما كتابان: لأننا نقرأ في كل منهما آيات جلال الله وجماله وصفاته الحسنى وهما ناطقان لأنهما ينطقان بآيات الله وجلاله وجماله».

«والقرآن عزٌّ لا تهزم أعوانه، يجد فيه الذي يؤون اليه عزهم وقوتهم وشموخهم وأصالتهم.

ولكن لمن ينطق القرآن؟ ومن هم الذين يتلقون خطاب القرآن وبواطنه وبصائره وكنوزه... وهذا سؤال هام... فليس ينطق القرآن لكل أحد، ولا يتلقى خطابه ونداءه كل الناس، و إنما ينطق القرآن لمن يعرف أن يستنطق القرآن، ولا يحسن استنطاق القرآن إلا من يفتح مغاليق قلبه عليه ويسلّمه أزمّة نفسه، ويمكّنه من عقله وقلبه. إن في القرآن جوابًا لمن يريد أن يفهم القرآن، ويأخذ من القرآن... أما من يطلب آراءه وأهواءه في كتاب الله، ولا يطلب هدى الله وبيناته، فالقرآن صامت تجاهه، ومنغلق عليه».

www.ketab.ir

التعامل الحضاري مع الآخر

تحت عنوان «التعددية الدينية» نشر الشيخ الآصفي في العدد ٥ من ثقافتنا مقالاً يبين فيه الفرق بين التعددية الدينية المرفوضة وبين رفض الحوار مع الآخر. الإسلام أمرنا أن نكون مرنين في التعامل الثقافي والسياسي والعلمي، وبدون هذه المرونة لا يمكن أن يكون لنا خطاب نتواصل به مع الآخر. ويقف الكاتب في هذا المقال عند «التعارف»، ليبين أنه التبادل المعرفي وأنه التلاقح بين الشعوب، فهو السبيل الوحيد للدعوة ولإثراء التجارب.

يقول:

«وحدة الدين، ورفض التعددية الدينية... لا تعني المقاطعة الثقافية والسياسية والاجتماعية للآخرين ورفضهم، ورفض الحوار معهم، ورفض التعاطي معهم في العمل الثقافي والسياسي والعلمي.

فقد أمرنا الله تعالى أن نصغي إلى الآخرين، ولا ننغلق عليهم أولًا.

وأمرنا أن نحاورهم ثانيًا، بأحسن ما نعرف من أساليب الحوار، أدبًا، ولينًا.

وأمرنا أن ندعوهم إلى الله وسبيله بأجمل ما نعرف من أساليب الدعوة ثالثًا.

وأمرنا أن نتعاطى معهم التعاون على البر والتقوى بأفضل ما نستطيع رابعًا.

وأمرنا الله تعالى أن نتعاطى مع الناس العلم والفكر والثقافة خامسًا.

«يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات/١٣.

إن التعارف في آية الحجرات شيء أكثر من التلاقي والتعارف بالوجوه والأسماء... إنه تبادل في المعرفة، والخبرات الحضارية، والثقافية، والأدب، والعلم، والفن... وهذا التبادل نوع من التلاقح الحضاري... وهو أمر يحبّه الله تعالى... إنّ ثقافتنا من مصدر الوحي من غير ريب، ولا نتلقى الثقافة من أي مصدر آخر...

www.ketab.ir

ولكن هناك نوع من الخبرات، والتجارب الحضارية، والحكم، والمعرفة في تاريخ الأمم وثقافتها، وتراثها، لاتتقاطع مع تراثنا بل تتجاوب معها وتؤكدها... والتعاطي الثقافي، والمعرفي، والأدبي، والعلمي، والفني بهذا المعنى من التلاقح الحضاري فيما بين الأمم.

والله تعالى يريد هذا التلاقح فيما بين الأمم، وهذا التلاقح الفكري والثقافي يقرّب الأمم إلى التوحيد والإسلام... كما يُثري تجاربنا وخبراتنا الفكرية، والأدبية، والفنية، والعلمية.

إذن وحدة الدين، وبعض التعددية الدينية، ليس بمعنى مقاطعة الآخرين في التعامل الثقافي والعلمي والإنساني».

الفهم الحضاري للعرفان

تحت عنوان: «الرحلة بين المعرفة والتفويض» نشر الشيخ الآصفي مقالًا في العدد٤ من ثقافتنا، بيّن فيه فهمه الحضاري للعرفان ويتلخّص في اختفاء «الهوى» و«الأنا» من نفس الإنسان. ويرى أن «الأنا» هو الصنم الذي يحجب الإنسان عن الله. والرجل في حياته كان متحررًا كل التحرر من ذاتيته الأنانية، وكان يعيش لله، ويعيش في جهاد أكبر متواصل نحو الاقتراب من الكامل المطلق وهو الله سبحانه. يقول:

«عن رسول الله (ص): «أول العلم معرفة الجبّار وآخر العلم تفويض الأمر إليه».

هذا الحديث يختزل على وجازته كل الرحلة الطويلة للإنسان في عالم المعرفة، من (المعرفة) إلى (التفويض)، وهي رحلة طويلة وشاقّة . ولكنها رغم مشقتها شيّقة . وكل شاقّ في الحب شيّق».

«هذه الرحلة رحلة النور والبصيرة، وفي كل منزل من منازلها درجة من النور

www.ketab.ir

والمعرفة فوق المسرى الأول، ويتعاكس في منازل هذه الرحلة ظهوران اثنان : الظهور الإلهي في قلب العبد، وظهور (الأنا) و(الهوى) في نفسه وسلوكه . وكلما يتقدم العبد منزلًا من منازل السلوك والسفر إلى الله تعالى، يزداد الظهور الأول قوة وظهورًا في نفس العبد، ويختفي بقدره (الهوى) و(الأنا) والتعلّق بالدنيا في نفس العبد وسلوكه، حتى يختفي (الهوى) تمامًا في منزل التقوى ويختفي التعلّق بالدنيا عن أفق الناس تمامًا في منزل (الزهد)» .

«المنزل الأخير من منازل السالكين إلى الله تعالى هو، التفويض . وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم على لسان مؤمن آل فرعون، عندما كان يحاوره قومه، فيدعوهم إلى الله، فيهددونه ويخوفونه، فيقول لهم : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا، وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾.

وهذا المنزل هو القمّة في سلوك العبد إلى الله، يترك العبد تدبير أمره كلّه لله تعالى، ويضع نفسه و إرادته وقلبه وعقله، وجوارحه، وجوانحه، وحاضره، ومستقبله، وموقعه، ودنياه، وآخرته تحت تصرّف الله تعالى يفعل به ما يشاء».

«إنّ (الأنا) يحجب الإنسان عن الله، وهو (الهوى) من أعظم مصائب الإنسان، و إذا تمكّن العبد من أن يتجرّد منهما فقد استطاع أن يتخلّص من أعظم مصيبتين في حياته: (الهوى والأنا) .

وهما حجابان وعائقان يحجبان العبد ويعيقانه عن الله تعالى، واخفّهما (الهوى)، وأشقّهما (الأنا)، وقد يتجرّد الإنسان عن الهوى في المنازل الأولى للسلوك (منزل التقوى والطّاعة)، ولكنّ (الأنا) يبقى يطارده ويلاحقه في منازل السلوك، والعروج، إلا منزل التفويض، الذي لا يدخله الأنا قط، ولله درّ القائل:

بيني وبينك إنّي ينازعني ... فأرفع بلطفك إنيّي من البين»

www.ketab.ir

«قلنا إن منازل السلوك تقع بين (المعرفة) و (التفويض)، وهي منازل كثيرة لا نطيق إحصائها وشرحها . نقطة البداية فيها المعرفة . ونقطة النهاية فيها التفويض. وبينهما منازل ومراحل متوسطة وكثيرة في طريق العبد إلى الله تعالى .

وفي كل منزل من هذه المنازل يجري جهد مزدوج، مترابط، باتجاهين متعاكسين .

الشوط الأول، إضعاف الأنا والهوى وتطويعهما وتقييدهما وقهرهما لأمر الله وتهذيبهما ... والمرحلة الأخيرة من هذا الشوط إفناء الأنا و إنهاؤه والتحرّر من كل ما يتّصل به وبالهوى .

والشوط الثاني الخروج إلى الله تعالى باتجاه العودة إلى الله من الذنوب والمعاصي وهو التوبة . والالتزام بالطاعة والامتثال أحكام الله، والانضباط ضمن حدود الله تعالى والحذر من الخروج عن حدود الله تعالى ... وهي منازل كثيرة في العروج إلى الله والولاء لله وحب الله والطاعة والأنس بالله، والتسليم لله، والقدوم على الله».

الفهم الحضاري للانقطاع إلى الله

تحت عنوان «الغربة والاغتراب» نشر الشيخ الآصفي مقالاً يبدو أنه من وحي الهجرة التي عاناها إخوانه بعد محنة العراق. وفيها يرى أن الهجرة فرصة للبحث عن الجوّ الأفضل لمواصلة طريق الدعوة.

ويقرن ـ رحمه الله ـ هذه الهجرة بالقربة وبالانقطاع إلى الله وكأنه يريد أن يرسم للمغتربين معالم طريق المواصلة.. مواصلة السير نحو ربّ العالمين، وكيفية ممارسة شؤون الحياة مقرونة بالقرب الإلهي.

يقول:

«الهجرة حالة قديمة في كلّ رسالات الله تعالى، لأن كلّ دعوة إلى التوحيد

تواجه بقوة، وعنف من قبل المستكبرين لاستئصالها.

ولكي يسلم حَمَلة الدعوة من فتنة العذاب والاضطهاد، والبطش والفتك، وتسلم الدعوة من خطر الاستئصال لابدّ من «الهجرة» حتى تتمكن «الدعوة» من أن تستقر على الأرض، وتتكون سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا.

إنّ الهجرة، ليست بحثًا عن الأمن فقط، و إنّما هي أيضًا بحث عن الوسط الملائم لتكوين الجماعة المسلمة... وليست فرارًا من العدو بقدر ما هي بحث وسعي للوصول إلى موقع أفضل للانطلاق إلى مواجهة خصوم الدعوة، التي لابدّ منها على كل حال، وفي كل الحسابات».

«إنّ التعلق بالله تعالى يقطع الإنسان عن الدنيا، والتعلق بالدنيا يقطع الإنسان عن الله.

وهنا أيضًا حافة دقيقة من حافات السقوط والانحراف، ولكي لا نقع في الانحراف الذي وقع فيه بعض أهل التصوف لابدّ أن نذكرهنا حقيقتين:

الحقيقة الأولى: إنّ التعلق بالله لا يعارض الاختلاط بالناس ومعاشرة الناس و إنما يعارض التعلق بالدنيا، فمن الممكن أن يعيش الإنسان في الدنيا وفي المجتمع، ويذهب إلى السوق والمدرسة والمعمل والشركة ويعمل في السياسة، ولكن في نفس الوقت لا يكون متعلقًا بالدنيا، وعلامة التعلق الحزن والفرح، الحزن على فقدان الدنيا، والفرح بما يرزقه الله من الدنيا.

يقول تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾».

«والحقيقة الثانية: إنّ كل شؤون الحياة الدنيا كالدراسة والتجارة والسياسة والقتال والزواج والأكل والنوم والشرب والاختلاط والمعاشرة يمكن أن يقوم بها الإنسان في امتداد التعلق بالله، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

www.ketab.ir